Journal of Educational and Psychological Sciences (JEPS) • Vol 7, Issue 11 (2023) • P: 54 - 42
https://journals.ajsrp.com/index.php/jeps
ISSN: 2522- 3399 (Online) • ISSN: 2522- 3399 (Print)

The role of the mother in the scientific formation of her children in the light of Islamic educational thought
Imam Malik bin Anas as a model

Dr. Abeer Muhammad Aljufair
College of Education | Umm Al- Qura University | KSA

Received: 10/11/2022
Revised: 22/11/2022
Accepted: 14/12/2022
Published: 30/03/2023

* Corresponding author: abeer100m1j@gmail.com

Citation: Aljufair, A. M. (2023). The role of the mother in the scientific formation of her children in the light of Islamic educational thought. Journal of Educational and Psychological Sciences, 7(11),42 – 54. https://doi.org/10.26389/AJSRP.G101122

2023 © AJSRP • National Research Center, Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY- NC) license

Abstract: This study aimed to highlight the role of the mother in the formation of the scientific personality of her children through the study of Imam Malik bin Anas, may Allah bless him, one of the prominent scientific models and figures in Islamic educational thought. It also aimed to explain the scientific methodology of Imam Malik bin Anas, may God have mercy on him, in scientific training, and On the scientific personality of the children, in fact the personality of the children is affected by the mother usually more than the father; because of her living with them and being with them longer than living with their father. The most prominent recommendations were the design of some courses in the historical, social and cultural field through different stages of education with models of Islamic heritage about the greatness of the mother.
Keywords: mother – Scientific – sons- Educational- Thought.

دور الأم في التكوين العلمي لأبنائها في ضوء الفكر التربوي الإسلامي
الإمام مالك بن أنس انموذجاً

الدكتورة / عبير بنت محمد الجفير
كلية التربية | جامعة أم القرى | المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدفت هذه الدراسة إلى إبراز دور الأم في تكوين الشخصية العلمية لدى أبنائها من خلال دراسة الإمام مالك بن أنس رحمه الله أحد الشخصيات العلمية البارزة في الفكر التربوي الإسلامي، كما هدفت إلى بيان المنهجية العلمية للإمام مالك بن أنس- رحمه الله- في التكوين العلمي، وبيان المقومات العلمية للإمام، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وسوف تعتمد الباحثة على أحد فروع المنهج الوصفي وهو: المنهج الوثائقي للتعرف على أحد نماذج علماء الفكر التربوي الإسلامي، واستجلاء دور الأم الرائد خلال التاريخ الإسلامي باستلهام واستخلاص الدروس المستفادة منها، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الأم تعد محور التربية الأسرية، والعنصر أكثر فاعلية وتأثير على شخصية الأبناء العلمية، وتتأثر شخصية الأبناء بالأم- عادة- أكثر من الأب؛ بسبب معايشتها لهم ووجودها معهم فترة أطول من معايشة أبيهم، كما كان أبرز التوصيات تصميم بعض المقررات في المجال التاريخي والاجتماعي والثقافي عبر مراحل التعليم المختلفة بنماذج من التراث الإسلامي عن عظم دور الأم في تنشئة الأبناء.
الكلمات المفتاحية: الأم – العلمي – الأبناء – الفكر- التربوي.

المقدمة.

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد: لا شك أن مكانة الأم في الإسلام من الأمور المقررة والتي تواتر على تقريرها الكتاب والسنة مما يؤكد بشكل قاطع أن للأم منزلة لا تعدلها منزلة؛ وإنما أنزلها الإسلام هذه المنزلة لما قامت به من حمل ورعاية وتربية؛ ومما يؤكد مكانة الأم في الإسلام النصوص الواردة من آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم التي أشارت إلى فضل الأم ومنزلتها، وبعض الآيات أفردت الأم بالذكر لمنزلتها وفضلها، ومن النصوص القرآنية التي أكدت فضل ومنزلة الوالدين، قوله تعالى: {۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ. وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الإسراء: 23- 24).

كما أكدت السنة النبوية كذلك على فضل الأم ومكانتها في أكثر من حديث، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ. (مسلم، ص 1974رقم 2548 ج4) وقد جعل الحديث للأم ثلاثة أضعاف من الفضل والقدر، وقد سطر تاريخ الفكر التربوي الإسلامي في أنصع صفحاته أروع الأمثلة في قيام الأمهات الفاضلات بتربية الأبناء وصناعة القادة والعظماء، فقمن برعايتهم رعاية كريمة وتربيتهم تربية حسنة، بل كنَّ سبباً في حفظهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولم يجاوزوا الحُلُم، فأخرجن لهذه الأمة قادةً عظماء، وعلماء أجلاء، وعباداً أتقياء، وزهاداً صلحاء؛ كما تدل على ذلك شواهد التاريخ، ومن الأهمية بمكان أن نذكر انموذجاً من هؤلاء العلماء لتجلية دور الأم في التكوين العلمي لأبنائها ستتناول الباحثة الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- كانموذجاً من علماء الفكر التربوي الإسلامي والاستفادة من عناصر ومقومات الشخصية العلمية والوقوف على الأساليب التربوية والتركيز على سيرهم العلمية للأخذ بالنافع وجعلها سلوكا ممارسًا، سائلة المولى عز وجل العون والتوفيق والسداد.

موضوع الدراسة:

إن دراسة "تاريخ التربية الإسلامية ودراسة شخصياتها التاريخية يعد مصدراً حيوياً وعملًا يكشف عن ملامح تلك التجارب الإيجابية وأبعادها وآثارها، لا لإحلال الماضي محل الحاضر، بل للاستفادة منه وربطه بالحاضر" (ابن جماعة،1933م: 5) وأظهرت نتائج دراسة (الرشدان، 1994م) أن للأم دورا مهما في التربية، كما يظهر دورها أكثر وضوحا في حال غياب الأب" وقد أبرزت الدراسة الاستطلاعية التي قام بها الأهدل (1425ه) موافقة (81%) من أفراد العينة على أن دور الأم في تنشئة الأبناء قد تراجع في السنوات العشر الأخيرة (27) وعليه باتت الحاجة ملحة إلى الكشف عن أهمية الدور الذي تقوم به الأم المسلمة في تنشئة أبنائها وقيامها بهذا الدور وإيجاد أبناء لهم بناء فكري وروحي ونفسي وبدني سليم، ومما يحتم أيضاً إبراز دور الأم في الوقت الراهن هو "دخول عوامل جديدة على الساحة منها تكنولوجيا الاتصالات الحديثة بأشكالها المتعددة التي أسهمت في بث قيم العولمة، وكذلك الاعتماد على المربيات في تنشئة الأبناء وغيرها من العوامل"(ليلة، 1995م،43- 48؛ مكي 1425ه؛ الجابري، 2002م، 105- 111).

أسئلة البحث:

يتحدد السؤال الرئيس للدراسة على النحو التالي:

ما الدور التربوي للأم في التكوين العلمي لابنائها في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي- الإمام مالك بن أنس أنموذجاً- ؟

وتتفرع منه الأسئلة التالية:

1- ما دور أم الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- في تكوينه العلمي؟
2- ما منهجية الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- في التكوين العلمي؟
3- ما المقومات العلمية للإمام مالك بن أنس- رحمه الله- ؟

أهداف البحث:

1- بيان دور أم الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- في تكوينه العلمي.
2- بيان المنهجية العلمية للإمام مالك بن أنس- رحمه الله- .
3- إيضاح المقومات العلمية للأمام مالك بن أنس- رحمه الله- .

أهمية البحث:

- تقدم الدراسة اسهامات الأم في التكوين العلمي لدى أبنائها، من خلال دراسة الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- .
- ندرة الدراسات- على حد علم الباحثة- في إبراز دور الأم في التكوين العلمي لأبنائها وأثرها التربوي العظيم، فالتركيز غالبًا على التنشئة الاجتماعية والأسرية، دون تخصيص دور الأم تحديداً فهي بُعد غائب تقريباً في المجال البحثي.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي: الذي يعتمد على التسلسل المنطقي للأفكار للوصول إلى أفكار وآراء تفيد في الواقع، "وهو الذي يقوم بدراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وتوضيح خصائصها" (عبيدات،1407هـ:187).

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة في الحدود على دراسة الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- ودور أمّه في تكوينه العلمي.

مصطلحات البحث:

- **التكوين العلمي:** يقصد بالتكوين العلمي في الدراسة الحالية إعداد الأم لإبنائها إعداداً علمياً مكيناً، وتربيتهم منذ صغرهم على حب العلم وطلبه.
- **التعريف الإجرائي للدراسة:** دور الأم في التكوين العلمي لأبنائها من خلال دراسة الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- وهي شخصية علمية بارزة في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي، وكان لأمه الدور الأكبر في تكوينه العلمي.

الدراسات السابقة:

1. **دراسة الرشدان (1994م)** بعنوان: *دور الأم المسلمة في اعداد العلماء* واستخدمت فيه المنهج التاريخي الوصفي والمنهج الوصفي التحليلي، وأظهرت نتيجة البحث أن للأم دورا مهما في التربية في جميع المراحل العمرية لأبنائها، ولا يقتصر دورها في مجال محدد في التربية، كما يظهر دورها أكثر وضوحًا في حال غياب الأب، حيث أن الأم تستطيع القيام بدور الوالدين معا في الظروف الطارئة، وأن هناك ارتباطا بين مدى نجاح الأم في تربيتها لأبنائها وبين مدى ملازمتها لهم وأن لأمهات العلماء دورا بارزا في صقل شخصياتهم، وتشابهت الدراسة الحالية والدراسة السابقة في دور الأم المسلمة واختلفت في النماذج حيث الدراسة السابقة تناولت نماذج من اعداد الأمهات للعلماء الاعلام المتقدمين، والمتأخرين والمعاصرين بينما الدراسة الحالية تحددت في الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

2. **دراسة الحسن (2013م)** بعنوان: *دور الأم المسلمة في تنشئة الداعية القائد*: وهدفت الدراسة إلى إبراز الدور الفاعل الذي يمكن أن تقوم به الأم المسلمة في إعداد أبنائها إعدادا يؤهلهم لأن يكونوا قادة في المستقبل. وتناولت الدراسة المكانة العظيمة الذي أعطاها الله تعالى للمرأة المسلمة واشتملت على الدور الذي تقوم به الأم في التنشئة القيادية للطفل في مراحل طفولته المختلفة وتناولت بعض نماذج نساء السلف في حسن تربيتهن، بينما الدراسة الحالية ستتناول النماذج من علماء في الفكر التربوي الإسلامي الذين ربتهم أمهاتهم، وقد تشابهت الدراسة السابقة مع الدراسة الحالية في إبراز دور الأم المهم في التنشئة وبناء القادة العلماء.
3. **دراسة الشهري (2012م)** بعنوان: *مكانة الأم في الإسلام وصور من بر الصحابة رضوان الله عليهم*: تناولت الدراسة صور من بر الصحابة الذين تمثلوا هدي خير الأمة محمد ﷺ ومكانة الأم في الإسلام، بينما ستكون الدراسة الحالية عن دور الأم في تكوين شخصية الأبناء العلمية بعرض نماذج من العصر العباسي، وقد تشابهت الدراستين في جزئها الأول وهي مكانة ودور الأم واختلفت من حيث الموضوع حيث ركزت الدراسة السابقة على البر في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ينما الدراسة الحالية ستركز على إبراز دور الأم المهم في التنشئة وبناء الشخصية العلمية.

الفصل الثاني- دور أم الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- في تكوينه العلمي

سعت المجتمعات الإنسانية منذ القدم إلى التطور والتقدم والازدهار في شتى الميادين وكافة المجالات، وهذا التطور ظهر من خلال ما قدمه الإنسان من علوم ومعارف لخدمة مجتمعه ونفعه، ويتجلى هذا في مجموعة من النواتج في مختلف الميادين العلمية، وللحضارة الإسلامية نصيب من هذا الإبداع فقد عاشت المجتمعات الإسلامية فترة من الرقي والازدهار في جميع المجالات وكان للعلماء المسلمين الدور البارز في هذا التطور وبفضل ما قامت به أمهاتهم من تربية صحيحة، وتنشئة سليمة ترتكز على القيم والمبادئ الإسلامية، ومنهجاً سلوكيًا وتربوياً جدير بأن تسلكه كل أم مع أبنائها ليكونوا في صفوف العلماء للنهوض بالأمة الإسلامية في جميع المجالات العلمية.

الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- ودور أمه في تكوينه العلمي (93 – 179هـ)

للإمام مالك- رحمه الله- آثار علمية كثيرة، ومن أشهرها كتاب الموطأ "ويعدّ الأول في التأليف في الفقه والحديث معاً، ذاع وانتشر في الإسلام، وتناقلته الأجيال جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا"(أبو زهرة، 1947م، 222) وأما غيره من الآثار كتبها ودونها تلاميذه.

وكان الإمام مالك ذا فضل عظيم؛ فقد أثنى عليه علماء عصره ومن بعدهم، على علمه واجتهاده، وحديثه، وكثير من خصاله وأخلاقه، يقول الذهبي: "وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره أحدها: طُول العمر، وعلو الرواية، وثانيها: الذهن الثاقب، والفهم وسعة العلم، وثالثها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، وخامسها: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده"(1419هـ،157) وقد أثنى عليه كثير من شيوخه وأقرانه وتلامذته، فمن شيوخه الذين أثنوا عليه ابن شهاب الزهري المتوفى سنة(124هـ) وهو من كبارهم قال لمالك:" أنت من أوعية العلم وإنك لنعم مستودع العلم، ومن شيوخه ابن هرمز المتوفى سنة (148هـ) حيث قال يوماً لجاريته: قال ابن هرمز يوما لجاريته: من بالباب؟ فلم تر إلا مالكا فذكرت ذلك له فقال: دعيه فإنه عالم الناس"(عياض،1965م، 148) وقد أثنى عليه من أصحابه كثير منهم الأوزاعي المتوفى سنة (157هـ) فإنه إذا ذكر مالكاً قال:" قال عالم العلماء وعالم أهل المدينة ومفتي الحرمين"(عياض، 1965م، 76)

المبحث الأول: منهجيته العلمية في التحصيل العلمي

لقد أراد مالك- رحمه الله- أن يعيش العلم منهجاً وسلوكاً وحياة، بأخلاقه ومعاملاته حيث كان يقول:" حقاً على من طلب العلم أن يكون عليه وقاراً وسكينة، ويكون متبعاً لآثار من مضى"(عياض، 1379هـ، 52)

1- **الإخلاص لله:** والإخلاص لله على رأس الأمور المعتبرة في تحصيله للعلم، ومن أهم الأمور التي نهجها وسار عليها في فتواه وإجابته على المسائل التي تدل على إخلاصه واحتسابه لله تعالى، ذلك أنه ألتزم الإفتاء فيما يقع من المسائل من غير أن يفرض؛ وذلك خشية الابتعاد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاندفاع نحو المغالاة في الأمور، وفرض غير المعقول، فقد نقل القاضي عياض أنه قال:" كان علم الناس في ازدياد وعلم مالك في نقصان، ولو عاش لأسقط علمه كله"(الراعي، 1431هـ، 183) "وكان مالك يعمل في نفسه ما لا يلزم الناس، وكان يقول: لا يكون العالم عالماً حتى يعمل في نفسه بما لا يفتي فيه الناس، يحتاط لنفسه ما لو لم يكن عليه فيه إثم"(السيوطي،1431هـ،33) وهذا يوضح أيضاً منهجه في اقتضاء العلم بالعمل، فهو لا يخالف قوله عمله.

2- **الاستناد إلى الدليل:** كان مالكاً- رحمه الله- يستند إلى الدليل ويعتد بالمصادر المعرفية المعتبرة، فقد كان معروفاً بالتثبت في الفتوى، والتحري والاحتياط في أمور الدين، ومن كلامه في هذا السياق يقول عبد الرحمن العمري قال لي مالك: " ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم فقلت يا أبا عبد الله ما كلامك عند الناس إلا كنقش في حجر، ما تقول شيئا إلا تلقوه منك، قال فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا وقال أيضاً: ما شيء أشد علي من أن أسأل وقال: ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام، كأن هذا هو القطع في حكم الله ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه"(عياض، 1965م، 177- 181) وقال ابن عيينة: "ما رأيت أحدًا أجود أخذًا للعلم من مالك وما كان أشد انتقاده للرجال والعلماء"(ابن فرحون، د.ت، 101).

3- **الأمانة العلمية:** كان منهجه منهجًا ملتزماً بالأمانة العلمية والابتعاد عن التعالم قال ابن مهدي: "سأل رجل مالكًا عن مسألة وذكر أنه أرسل فيها من مسير ستة أشهر من المغرب، فقال له أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها، قال ومن يعلمها؟ قال من علمه الله، وقال الهيثم ابن جبيل: شهدت مالكًا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنين وثلاثين لا أدري"(عياض، 1965م، 181) "وقال ابن عيينة: كان مالك لا يبلغ الحديث إلا صحيحاً، ولا يحدث إلا عن ثقة، ويقول الشافعي كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله، وقال أشهب ورآني أكتب جوابه في مسألة فقال لا تكتبها، فإني لا أدري أثبت عليها أم لا" (عياض،1965م، 190) ولقد وضع الإمام مالك – رحمه الله- قاعدة في طلب العلم وألتزمها منهجاً طيلة حياته، فقال:" لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به" (الذهبي، 1405هـ، 67- 68) ويوصي في الثقات ممن يؤخذ عنهم العلم فيقول أحد طلابه" ودعت مالك بن أنس فقلت: أوصني يا أبا عبد الله، فقال: تقوى الله وطلب العلم من عند أهله" (الأصبهاني، 1394هـ، 319).

4- **استثمار الوقت في الطلب:** ومن القواعد المنهجية في طلب العلم تنظيم الوقت واستغلاله في التحصيل، فكان مالكاً- رحمه الله- مثالاً عملياً في استغلال الوقت واستثماره في طلب العلم فيقول:" كنت آتي نافعاً نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه، ويقول: وكنت آتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل"(عياض، 1965م، 132) وكذلك من القواعد المنهجية العلمية التي نهجها الإمام مالك- رحمه الله- اشباع قدراته بالمزيد من التعلم حيث تتفاوت القدرات الفردية في التحصيل والفهم والحفظ والاستنتاج والتحليل، والإمام مالك تميز بالذكاء المتقدم في الفهم والحفظ، فكان يذهب إلى شيخه ابن هرمز في بيته ويستأذن عليه ليستفيد مزيداً من العلم، وكان يقيد الفوائد ويكتبها ويوثقها، فالعلم صيد والكتاب قيده.

وخلاصة القول: إن الإمام مالكاً من أعلم علماء الأمة، ومن أكثرهم تثبتاً وتمسكاً بالدليل، ومنهجيته منهجية علمية تربوية أصيلة.

المبحث الثاني- مقومات الشخصية العلمية التي تحققت للإمام مالك بن أنس- رحمه الله- .

تستعرض الباحثة المقومات التي أسهمت في بناء شخصية الإمام مالك العلمية، من خلال استنباط وتحليل جوانب حياة الإمام مالك بن أنس من المصادر وكتب التراجم والسير، فتحقق للإمام مالك بن أنس- رحمه الله- جل المقومات بل كُلها التي أسهمت في تكوينه العلمي.

1- **المقومات البيئية:** وتمثل البيئة الأسرية مقومًا هامًا من المقومات المحددة لنمو الشخصية العلمية وتطورها، وهي المؤثر الأهم في نقل الشخصية من طور الكمون إلى الإنجاز الفعلي والإبداع المشاهد، فللأم خصوصاً دور بالغ الأهمية في تنمية شخصية ومساعدة أبنائها على تحقيق العلم والإنجازات.

فقد تربى مالك- رحمه الله- ونشأ في بيئة أسرية عرفت باشتغالها بالعلم، "فجده الأعلى- أبو عامر بن عمرو- صحابي جليل، شهد المغازي كلها إلا بدراً، وابنه مالك- جد الإمام مالك- من كبار علماء التابعين في المدينة، روى عن طائفة من الصحابة مثل عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والسيدة عائشة رضي الله عنهم، وأبوه أنس من رواة الحديث غير أنه لم يكن من المكثرين" (عياض، 1965م، 113) "وأخوه النضر من طلبة العلم المعروفين، كان يلازم العلماء، ويأخذ عنهم، وقد تفوق في دراسته واشتهر حتى إنَّ الإمام مالكاً كان ينادى بأخو النضر، أما أمّه فكانت تقدر العلم وأهله، وتوجه أبنها إلى مجالس العلم، وترسم له منهجاً قويمًا، وأساسًا ركيزًا في القيم والآداب؛ حينما وجهته بأن يتأدب بأدب شيخه قبل أن يتعلم منه، وقالت لابنها: "اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه"(عياض، 1965م، 131) ويقول: "كانت أمي تلبسني الثياب وتعممني وأنا صبي وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن وتقول يا بني ائت مجلس ربيعة فتعلم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه"(ابن عبد البر،1387هـ، 4) أما أعمامه فقد روي عنهم اشتغالهم بالعلم، لا سيما عمه نافع كان "محدثاً ثقه"(الذهبي،1405، 283) هذه هي أسرة مالك وهي توعز إلى الناشئ فيها بأن يتجه إلى طلب الحديث والعلم.

ولقد كانت البيئة العامة مع البيئة الخاصة تعزز من بناء الشخصية العلمية للإمام مالك- رحمه الله- فقد كانت بيئة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومهاجره الذي هاجر إليه، وموطن العلم، ومبعث النور، ومعقد الحكم الإسلامي الأول، وقصبة الإسلام في الخلفاء الراشدين العهد الذي انفتقت فيه العقول الإسلامية واستنبطوا من القرآن أحكامًا، ومن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم قياسًا واستحسانًا، وحظيت المدينة المنورة بما لم يحظ به مصر من الأمصار، فهي دار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحل سكناه، وموضع قبره وبها منبره وروضته الشريفة، ومجمع أصحابه الكرام، ومقام الكثير من التابعين، ومنها يصدر العلم والفتوى فتوى الفقهاء السبعة فقهاء المدينة المشهورين، "وكانت المدينة المنورة أهم مدينة إسلامية، تغري طلبة العلم للوفود إليها، فقد كانت تعج بالعلماء البارزين مقيمين فيها، ووافدين إليها في رحلاتهم للحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده" (السراج، 2016م، 130) وهذا ما يفسر البيئة الخصبة- علمياً- التي أحاطت بالإمام مالك- رحمه الله- وقال أبو جعفر المنصور- الخليفة العباسي- للإمام مالك:" أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفًا ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة، فضع للناس العلم"(عياض،1966هـ، 72) فهذه المقومات من الأسباب التي كونت وبنت شخصية الإمام مالك- رحمه الله- العلمية.

وهكذا نشأ الإمام مالك محاط في بيئة العلم "ومحط ارتحال العلماء من كل حدب وصوب، فقد اجتمع فيها نخبة كبيرة من المحدثين والفقهاء، وفي هذا المناخ العلمي والثقافي المتميز عاش الإمام مالك وأخذ العلم والحديث عن عدد كبير من أجلّة العلماء قيل أن عددهم بلغ تسعمائة وقيل أكثر"(السراج، 2016م، 130) ولمالك أخ أكبر منه،

وأقدم منه في طلب العلم اسمه النضر، حتى أن مالكاً كان يعرف بأخي النضر وهذه البيئة الصالحة- أماً أباً أعماماً وأجدادًا وأخوَة- لها الأثر الواضح على شخصية مالك العلمية وفي "ظل هذه العائلة الصالحة تربى الإمام مالك على حب العلم فأقبل على مجالس علماء المدينة، وهو حدث ابن بضع عشرة سنة، فحفظ القرآن الكريم، وسمع الأحاديث النبوية واستوعب الكثير منها، وبعد ذلك لازم شيوخ بلده عصره ينهل من علمهم"(السراج، 2016م، 129).

ويذكر القاضي عياض بعض الآثار في اختصاص المدينة بفضل العلم؛ فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فتحت المدائن بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن، وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبدأ الحلال والحرام" (عياض، 1965، 36- 37) وهكذا "كانت المدينة مهد العلم حقاً وصدقاً، فكان بها في عصر مالك من التابعين عدد يجد فيهم مالك الناشئ المعين الذي لا ينضب، والمنهل العذب المستساغ الذي لا كدرة فيه ولا اعتكار، هذه هي المدينة والبيئة، مهد السنن، وموطن الفتاوى، اجتمع بها الرعيل الأول من علماء الصحابة، ثم تلاميذهم من بعدهم، حتى جاء مالك فوجد تلك التركة المثرية من العلم والحديث والفتاوى، فنمت مواهبه تحت ظلها، وجنى من ثمراتها، وشدا بما تلقى من رجالها"(أبو زهرة، 1947م، 31- 36).

2- **المقومات الجسمية:** أما فيما يتعلق بالمقومات الجسمية فقد كان مالكاً- رحمه الله- موصوفاً بجمال الخلقة واعتدال القامة، مضافاً إلى ذلك اعتناؤه بمظهره الخارجي، ومما لا شك فيه أن المظهر الجميل إذا رافقه علم نافع وعقل راجح كان أكثر تأثيراً في نفوس الناس وأدعى للاحترام وأحرى لصاحبه، وكان يقول:"(ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه، وخصوصاً أهل العلم"(عياض، 1966هـ، 123) وإضافة إلى ذلك كان يولي اهتمامًا كبيرًا بمأكله، ولم يكن ذلك صادرًا عن نهم وحب للطعام بل كان له نظام غذائي ملتزم به كل ذلك منطلقًا من ذوقه العام وعنايته بكل شؤونه الخاصة؛ "فالجسم بما يحويه من أعضاء وأجهزة وحواس هو دعامة للعقل وعملياته، يزوده بالطاقة اللازمة ليكون قادراً على الملاحظة والتحليل والتركيب والاستنتاج، فالحواس نوافذ العقل التي يقتبس ويتلمس بها ما حوله فيميز ويقارن ويطلع، ولولا الحواس لكان العقل جوهرة مكنونة في صندوق الرأس لا فائدة منها، وإذا تعطلت حاسة خسر الدماغ معارفه التي ترد إليه من تلك الحاسة، وصار جاهلا بها لا يعرفها"(رشيد، 2004م، 37) ويقول أبو زهرة: "ذلك لأن الجسم الذي لا يستوفي كل عناصر التغذية، ويستمد كل أسباب الحياة والنمو من غير إفراط ولا تفريط، ولا تكون الأعصاب فيه سليمة، ولا كل عناصر التفكير قويمة، بل يكون مضطرب النفس، مضطرب الفكر وكثيراً ما يكون سوء التفكير من سوء التغذية، ونقص الإدراك من نقص الطعام، وإذا كانت المعدة إذا + اكتظت أضرت، فكذلك إذا خلت أخلت بنيان الجسم والعقل معاً"(أبو زهرة، 1947م، 55) فالحفاظ على الجسم أثناء طلب العلم من أهم المقومات التي تعين على الطلب والتحصيل العلمي والمعرفي، فهذا الإمام مالك" اتخذ تبناً محشواً للجلوس على باب ابن هرمز يتقي به برد حجر هناك، وقيل: بل برد صحن المسجد وفيه كان مجلس ابن هرمز" (عياض،1965م، 131) فالوقاية وسلامة الجسم وراحته، يورث علو الهمة والنشاط، وأهم ما يوليه الإنسان المسلم بالحفاظ على بدنه وجسده هي العناية بالغذاء والملبس الحلال، واستخدام هذا الجسد في مرضاة الله وطاعته وعبادته، والبعد عن المحرمات التي تنهكه وتضعف قدراته.

أما بالنسبة لبيته فكان نظيفًا، أنيقًا (السامرائي، 1435هـ، 714) واهتمامه بجمال بيئته المحيطة به في بيته له أثر كبير في ارتياحه النفسي وسكونه وانعكاس ذلك على تعلمه وتحصيله، وربما أبدى بعض الناس ملاحظات حول عنايته الفائقة التي يوليها لملبسه ولمظهره العام ويرون في ذلك بعداً عن التواضع فيقول مجيباً لهم:"التواضع في التقى والدين وليس في اللباس"(عياض، 1966م، 60) "وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل القائل بأن الإسلام لا يهتم بالناحية الجسمية، ويؤكد على قضية التوازن في التربية الإسلامية وشموليتها ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية

والعقلية فلا يستغرب بعد ذلك أن يعرف المسلم وقاره، وهيئته الخارجية، وشكله العام الذي يميزه عن غيره من الناس؛ لأن هذه السنن في مجموعها جعلت له شخصية مميزة، ومظهراً خاصاً، وأنموذجاً فريداً مقتدياً بذلك بقدوة الناس أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم" (السامرائي، 2013م، 724) "وكان مع عنايته بملبسه ومأكله، يعنى بكل مظاهر حاله، وكل ما تطمئن به النفس وتقر به العين، ويهدأ به البال"(أبو زهره، 1947م، 55).

3- **المقومات العقلية:** ومن المقومات التي أعانت على بروز شخصيته العلمية، مقوماته العقلية فقد عرف عن مالكاً – رحمه الله- بقوة الحفظ وسرعته، حتى أنه كان يسمع أربعين حديثًا أو أكثر في مجلس واحد ومرة واحدة فيجيء في اليوم التالي ويلقي على معلمه الزهري ما سمعه منه، ويسمع في جلسة واحدة ثلاثين حديثاً، لا يقيدها في كتاب، فلا يغيب عنه إلا حديث واحد، فيذهب إلى الزهري فيسأله عنه فلا يجبه إلا بعد اللوم، وهكذا كان حافظًا واعياً، قال له الزهري:" أنت من أوعية العلم وإنك لنعم المستودع للعلم"(عياض، 1965م، 148) فكان مالك ذا قوة عقلية واعية، وذا جلد وصبر ومثابرة فكان يغالب كل المعوقات التي تقف في سبيل طلبه للعلم، وكان يتأنى في الفتوى، ولا يسارع إلى الإجابة ولا يقول هذا حلال أو حرام إلا بنص صريح.

وكان- رحمه الله- ذا فراسة قوية قال الشافعي:" لما سرت إلى المدينة ولقيت مالكاً وسمع كلامي، نظر إلي ساعة، وكانت له فراسة ثم قال ما أسمك؟ قلت: محمد قال: اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن"(ابن عساكر، 1415هـ، ٢٨٦) ويذكر القاضي عياض ما قيل في رجاحة عقله ووفرته" كان ربيعة يقول إذا جاء مالك قد جاء العاقل، وقال ابن مهدي: ما رأت عيناي أحدا أهيب من هيبة مالك ولا أتم عقلا ولا أشد تقوى ولا أوفر دماغًا من مالك، وقال هارون الرشيد عنه ما رأيت أعقل منه"(عياض،1965م، 127).

ومما سبق يتضح توفر جميع مقومات الشخصية العلمية في شخصية الإمام مالك- رحمه الله- فقد توفرت له البيئة المناسبة الزاخرة بالعلم، بل بيئة منبع العلم والعلماء، وكذلك المقومات الجسمية من عناية صحية وغذائية، وحسن مظهر، وأيضاً مقوماته العقلية الفذة والنفسية المتزنة.

المبحث الثالث: أمّه ودورها التربوي في تكوينه العلمي

1- التوجيه والنصيحة:

لقد رسمت أمّ الإمام مالك- رحمهما الله- منهجاً تربوياً يرتكز على أصول ثابته، وأسس راسخه على القرآن الكريم والسنَّة النبوية، وقد أدركت هذه الأم المربية ما يمتلكه أبنها من قدرات ومقومات، واستثمرت ذلك بتوجيه تلك الملكات والنبوغ في العلم، وقد ذكر النويري في كتابة نهاية الأرب (1423هـ، 230) أن الإمام مالك في صباه وصغره كان يميل إلى بعض الملهيات، وقد نصحته أمّه بتعلم الفقه وحفظ الحديث، فانتصح وامتثل أمرها، وأصبح فيهما إماماً خالداً.

فكان تعلمه- رحمه الله- الفقه والحديث بتوجيه مباشر من أمّه؛ فطريقة التوجيه والإرشاد المباشر من أقرب الطُّرُق إلى مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وتصحيح معلوماته الفكرية، وهو ما يجعل الطفل أشدّ قَبولاً، وأكثر استعداداً للتلقي، وهي بذلك على المنهج النبوي فكان رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- يخاطب خطابًا مباشراً، وبصراحةٍ ووضوح.

ومن الأهمية بمكان فإن العديد من الممارسات الخاطئة لدى الأبناء قد يأتي في سياق عدم والوعي لماهية أعمالهم، فيقدمون عليها دون معرفة بسوئها وعدم مناسبتها للدين والعرف والمروءة، في حين انه لو تنبهت لها الأم وجرى اطلاعهم على حقائق الأمور، والتوعية بسوء العواقب، مع مراعاة الجوانب المنطقية للنصح، وجعلت أبنائها على إلمام بتفاصيل الاحداث عبر سبيل الدعوة للخير، لأذعنوا حتماً للنصائح، وامتثلوا للتوجيهات، فتنشئ فيهم

الشخصية الصالحة التي تسير على طريق الخير والحق، فها هي أم الإمام مالك توجه ابنها نحو الطريق السوي طريق العلم والعلماء ولم تترك أبنها لينصرف إلى اللهو والعبث.

إنَّ لِنُصْحِ الأم المربية لأبنائها أثراً كبيراً في تصحيح بعض الأخطاء التي قد يقع فيها الأبناء؛ من إساءة الأدب، أو عدم التحلي بالأخلاق الفاضلة، أو فعل حركات غيرِ لائقة؛ ولهذا فرض الإسلام طريقَة التوجيه والإرشاد والتذكير طريقةً تربوية؛ استثمرتها أم الإمام مالك- رحمه الله- في بناء وتكوين أبنها العلمي ووجهته إلى العلوم النافعة، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" (مسلم، رقم55، ص 53، ج1) هكذا جعلته الشريعة مبدأً حيويّاً من مبادئ التربية، واسلوبًا من أساليب الحكمة، فالنصيحة والتوجيه هما من الأمور الإيجابية والقيمة تربوياً، فيجدر بكل أمّ والوالدين والمربين والمصلحين وكذلك المسؤولين في المجتمع أن يسيروا على هذا المنهج من أجل بناء أبناء وأفراد المجتمع، وتحقيق أهداف التربية لترقى الأمه وتتقدم.

2- عنايتها بالأدب قبل العلم:

وقد أسهمت أُمّ مالك بن أنس في تكوينه العلمي، حيث إنها فقيهة عارفة بخيار أهل العلم في المدينة المنورة، لذا أرشدت أبنها إلى الاقتداء بسمت أهل العلم وأخلاقهم، قبل أخذ العلم عنهم لأن غاية العلم التربية وتعديل سلوك المتعلم إلى الأفضل والأحسن، فقد كانت أمّه تقدر العلم وأهله ورسمت له منهجًا قويمًا حينما دعته إلى أن يتأدب بأدب شيخه قبل أن يتعلم منه، فقد أوصت ابنها مالك وقالت:" اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه" (عياض، 1965م،130) وفي رواية: "يا بنيّ، ائت مجلس ربيعة، فتعلم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه"(ابن عبد البر، 1992م، 4) فكان لتلك الوصية وقعها العظيم وأثرها على شخصية الإمام مالك – رحمه الله- العلمية، وقد تضمنت منهجاً علمياً تربوياً وذلك بضرورة تعلم الأدب قبل العلم، وتقديم التأدب على التعلم، ويقول عبد الله بن وهب رضي اللّه عنه: "ما تعلَّمنا من أدبِ مالكٍ أكثرُ مما تعلّمنا من علمه"(الذهبي، 1405هـ، 113).

لقد أدركت أمّه أن الأمة لن تتقدَّم بحشو المعلومات، إنما تتقدَّم بتربية تعمل على غرس القيم وبناء المبادئ؛ لتجعل منها واقعاً عملياً، وأثر يُتحلَّى بها في السلوك، وعلمت أن العلم ليس مجرّدَ كتاب يُحفظ ومعلومات تُلقى، بل هو إعداد جيل، وتربية نشء، وبناء عقيدة، وترسيخ مفاهيم، وغرس قيم وأخلاق، وبقاءُ أيّ أمة مرهون بقدرتها على نقل مقوّماتها من العقيدة والقيم والأخلاق، وذلك بمنهج القدوة في تربية الأبناء وهو أهم وسائل التربية وأساليبها على الإطلاق، فالإنسان بطبيعته مفطور على التقليد والمحاكاة، وخصوصًا عندما يكون طفلًا فيكون ذلك تأثيره عميق، وأسلوب التربية بالقدوة أسلوبًا أصليًا مستقلًا بذاته في إيصال كثير من الأخلاق، والقدوة أبلغ من التعليم والتوجيه المباشر، فأثرها عميق ومفادها واسع، ولا خير في علم امرئ لم يُكسبه أدبًا ويُهذبه خُلقًا.

وقد التزم مالك- رحمه الله- الأدب كما أوصته أمّه ونصح بها، فكان في درسه الوقار والسكينة، والابتعاد عن لغو القول وما لا يحسن بمثله، وكان يرى ذلك لزامًا على طالب العلم، فيروى أنه نصح بعض بني أخيه، فقال له: "إذا تعلمتم علمًا من طاعة الله فلير عليك أثره، ولير فيك سمته، وتعلم لذلك العلم الذي علمته السكينة والحلم والوقار، وقال حقًا على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعا لآثار من مضى، وينبغي لأهل العلم أن يخوا أنفسهم من المزاح وبخاصة إذا ذكروا الله"(عياض، 1966م، 63) وقد أخذ نفسه بذلك الأدب أخذًا شديدًا، حتى أنه مكث يلقي دروساً، ويروي أحاديث أكثر من خمسين سنه فما عُدت له إلا ضحكة أو ضحكتان، أو نحو ذلك فكان بهذا السمت والوقار والسكينة والخشية طوال تلك السنين، قال الواقدي: "وكان مجلسه مجلس وقار وعلم، وكان رجلا مصيبًا نبيلًا ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع صوت إذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له من أين رأيت هذا"(عياض، 1966، 13).

لقد امتثل وصية أمّه قولاً وفعلاً ومنهجاً وسلوكاً، فكان قدوة ومثالاً لكل من قصده من العلماء والطلاب ."فأسلوب التربية بالقدوة من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الناشئين؛ ذلك أن القدوة هي الواقع الملموس الذي

يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول، وبالتالي فإن التربية بالقدوة العملية أبلغ وأكثر تأثيراً من التربية النظرية"(القرشي، 1405هـ، 19) ويؤكد المفرج والمطيري وحمادة (2006، 14) "أن المربي القدوة يمثل ذخيرة قومية؛ حيث إن تكوين جيل بأكمله يعتمد إلى حد كبير على ما يتصف به المربي من سمات قولية أو فعلية تساعده على أداء هذه المهمة".

ويحظى موضوع الأدب في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي باهتمام بالغ وبجملة وافرة من النصوص تجاه أهميته وأهمية دوره في التربية واستصلاح النفوس، فقد أوصى الإمام مالك تلاميذه بالوصية نفسها التي أوصته أمّه بها فيقول:" يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم" (أبو نعيم، 1394هـ، 330) " إن للمعلم القدوة أهمية بالغة في العملية التربوية، فهو يساعد على بناء شخصية المتعلم بناءً سليماً، كما أنه يعمل على تعديل أخطائه المتعلقة بسلوكه وأخلاقه" (الكحلوت، 1428هـ، 3) والتاريخ الإسلامي منذ القدم جسد كثير من علمائه أهمية التربية بالقدوة، بل واعتبروها أهم وسيلة للتنشئة.

وأدركت أمّ مالك بن أنس أهمية التربية بالقدوة، وأكدت على أبنها واختارت له معلمه الذي رأت أنه جسد التربية بسلوكه وخلقه قبل علمه، وأنه لا يمكن أن ينتفع بالمادة العلمية دون التأثر بفكر وأخلاق معلمه، بل والمظاهر السلوكية التي تصدر عنه، وهذا ما أكده القابسي (1986م، 128) فقد طالب المعلم بأن يكون قدوة في أعماله أمام الصبيان، وأن يكون رفيقاً رحيماً بهم، فهو لهم عوض عن آبائهم وهو المأخوذ بأدبهم، ويرى ابن خلدون (1432هـ، 539) أن حصول المعارف والأخلاق عن طريق المباشرة والمشاهدة لمن يتحلى بها أشد استحكاماً وأقوى رسوخًا من الإلقاء.

3- اختيارها المعلم وهو من أولويات البناء العلمي:

لقد عُني علماء المسلمون في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي بالمعلم أيما عناية؛ نظراً لعظم الرسالة والمسؤولية الملقاة على عاتقه، وفصلوا في تبيان خصائصه وشمائله، ومن أهم ما يبني عليه في الاختيار من المبادئ الأساسية للمعلم والسمات الشخصية والسلوكية التقوى والإخلاص، وهي من أهم ما يجب أن يتصف به المعلم، وكذلك العلم والحلم فهي من الصفات الأساسية التي تساعد المعلم في مهمته التربوية ومسؤوليته التكوينية والإصلاحية، أيضًا الرحمة والتواضع واستشعار المسؤولية، بالإضافة إلى السمات الشخصية والمهارات المهنية مثل المظهر العام والحضور وسلامة الحواس والبنية الجسدية والقدرة على التواصل مع الاخرين، والمربي هي الصفة التي أطلقها علماء التربية الإسلامية على المعلم حيث تنسب هذه الصفة على أولئك المشتغلين بعملية التربية والتعليم.

ومن أهم الركائز في البناء العلمي للأبناء وأولويات الاختيار له، هو اختيار المعلم المتمكن والراسخ في العلم، فقد وجهته- أمّ الإمام مالك- إلى مجلس علم ربيعة الرأي[1] العالم الفطن الثقة الممتلئ رأيًا وعقلاً وفقهًا، و"ذلك أنه كان يجمع مع العلم رجاحة العقل والغيرة على الدين، والورع والعبادة، وحسن الأدب والخلق، حتى إن أمَّه- وكانت امرأة صالحة- لَما هيَّأته لطلب العلم، قالت له: اذهب إلى ربيعة الرأي فتعلَّم مِن أدبه قبل علمه؛ مما يعني أنه قد اشتَهر بأدبه الواسع بين سكان المدينة، وتميز به على غيره من علماء عصره، وبالفعل فقد صار الرجل ذا فضل كبير في تكوين فكر الإمام مالك، وتفوُّقه على أقرانه، وعلى فكره الراجح، وقد ظهر ذلك جليًّا في كتابه الموطأ الذي أراد المنصور أن يجعله مرجعًا عامًّا لعامة الرعية في أمور الفقه والمعاملات وقضاياهم الحياتية"(www.alukah.net).

ومما هو جدير بالملاحظة أن أم ربيعة الرأي ضربت المثل الجيد والقدوة الحسنة في التربية والتنشئة كما يجب أن تكون، فهي لم تكن أماً صنعت رجلا فحسب بل صنعت عالماً جليلًا، فقد عاش مع أمّه بعد أن خرج والده غازياً سبع وعشرين سنه كما ذكر ذلك الإمام الذهبي (1405هـ، 93)"وقد خلف لها ثلاثين ألف دينار، ثروة كبيرة،

(1) هو ربيعة بن فروخ مشهور بربيعة الرأي لقوة رأيه ورجاحة عقله وبعد نظره، وهو عالم عصره ومفتي المدينة المنورة، وتابعي أدرك بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ووضعت حملها بعد رحيل زوجها ببضعة أشهر، وظهرت عليه علامات النجابة منذ نعومة أظفاره، فأسلمته إلى المعلمين، وأوصتهم بأن يحسنوا تعليمه، واستدعت له المؤدبين، وحضتهم على أن يحسنوا تأديبه، وأقبل على حلقات العلم، ولزم البقية الباقية من الصحابة الكرام، وعلى رأسهم أنس بن مالك الذي كان أكبر أستاذ له، وبعد طول غياب رجع فروخ- أبو ربيعة الرأي- ودخل مسجد المدينة، فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها فوقف عليها، وإذا فيها أشراف أهل المدينة، ولما سأل عن صاحب الحلقة أجابوه بأنه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فرجع إلى منزله، وقال لزوجته أم ولده: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقالت له: فأيهما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار، أم هذا الذي هو فيه؟، فقال: لا والله بل هذا، فقالت: أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعتيه".

وكأن أمّ مالك بن أنس حذت تربية هذه المرأة، وسلكت طريقتها في تنشئة إبنها وتكوينه العلمي، حيث إنه واقع حياً، وأنموذج رائداً للأم المربية الصالحة حيث اتضح جلياً دور أمّه في تكوين شخصيته وعلميته، حيث إن حالها قريب منها، فقد قامت بأمره في طفولته، وحضها له على طلب العلم، ومما يسترعي نظر الباحث أن اختيار أمّه لشيخه جاء لتكوين شخصيته العلمية فيقول أبو زهرة في هذا السياق "ولكن طلب العلم من مجالس العلماء المختلفة لا يكوّن الملكة العلمية التي ينشأ عليها الناشئ، بل لا بد أن يلازم عالماً من بينهم، وأن يختصه بكثرة الملازمة وقتاً يتم فيه تحصيله وتكوينه، حتى إذا تخرج عليه، اتجه إلى الدراسة حراً، بعد أن يكون عنده من العتاد العلمي ما يمكنه من الاستقلال الفكري"(أبو زهرة، 1947م، 32) فقد لازم مالكاً ربيعة الرأي، وأخذ عنه فقه الرأي وهو حدث صغير حتى لقد قال أحد معاصريه- الزبيري- "رأيت مالكًا في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف وهذا يدل على ملازمته الطلب من صغره" (ابن فرحون، د.ت، 99) ومما دل على أن الاختيار والانتقاء وتحريه عمن يأخذ العلم منه أصبحت من سماته العلمية فيقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه"(ابن فرحون، د.ت، 100)؛ فالملازمة أحد أهم أركان التكوين العلمي، فلازم أيضًا ابن هرمز فيقول: "انقطعت إلى ابن هرمز (ت 148 ه) سبع سنين، وفي رواية: ثماني سنين- لم أخلطه بغيره"(ابن فرحون، د.ت، 99) وأخذ مالك عن ابن شهاب الزهري، وكبر قدره في العلم، وكان مالك حريصاً على الانتفاع من الزهري كما انتفع من قبل من ابن هرمز.

4- عنايتها بمظهره ولباسه كزي أهل الفضل والعلم:

لم تغفل أمّ مالك بن أنس عن أهمية السمت والمظهر الخارجي على شخصية ابنها العلمية، فيقول مالك- رحمه الله- : " قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت لي أمي: تعال فالبس ثياب العلماء، ثم اذهب فاكتب، قال: فأخذتني فألبستني ثيابا مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب الآن فاكتب "(البغدادي، د.ت، 384) والسمت هيئة أهل الخير، ويقال: ما أحسن سمته أي طريقته التي ينتهجها في تحري الخير والتزي بزي الصالحين، وهو- أيضاً- الزي الحسن والهيئة المثلى في اللبس وغيره، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "السمت الحسن والتُؤَدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة"(الترمذي،1996م،540).

فمن الأهمية بمكان العناية بالمظهر؛ لأنه يعكس أيضاً قيم الإنسان وأخلاقه، وأحد العوامل المؤثرة في الشخصية، فنشأ الإمام مالك على الاهتمام بهندامه وثيابه ومظهره منذ تلك اللحظة التي خصصت له أمّه ملابس وثياب خاصة بالعلم فتقول: تعال فالبس ثياب العلماء، فكبُر- رحمه الله- على هذا الأمر، قال: مطرف و"كان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم فأتاهم، وإن قالوا الحديث قال لهم اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددًا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه طويلة وتلقى له المنصة فيخرج إليهم وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع ويوضع عود"(عياض، 1965م، 14- 15) واتفقت الروايات على أن مالكاً- رحمه الله- كان مهيباً، وكان يعتني بملبسه وكان يختار البياض ويتطيب ويتجمل بالمظهر اللائق.

وعناية مالك بملبسه كانت لأجل الروح، لا لأجل المادة فيقول أبو زهرة: "كان مالك يحض أهل العلم على العناية بملابسهم، ذلك لأن العناية بالملابس توجد في النفس صفاء وقراراً واطمئناناً، وهذه أمور من شأنها أن تجعل التفكير يسير في طريق ليس فيه عوج ولا أمت ولا اضطراب، فالعناية بالملبس من شأنه تنمية العزة في النفس، وإبعاد الذلة"(1947م، 56).

ومما سبق يظهر بجلاء دور أمّ الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- وإسهامها في تكوينه العلمي وتنشئة وتربية ابنها التربية الصحيحة المتكاملة في جميع الجوانب، فهي من دفعت به ووجهته منذ نعومة أظفاره إلى تلقي العلم وقبل ذلك الأدب والسمت، وملازمة العلماء والاقتفاء بهم.

الفصل الثالث- الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات

النتائج:

1- الركيزة الأساس في التكوين العلمي للأبناء هي الأم، وبالتالي فإن لها الدور الأكبر في تنمية المجتمعات والتقدم الحضاري.
2- أثبتت الدراسة أن من أهم المقومات للبناء والتكوين العلمي للأبناء هي: المقومات البيئية، المقومات الجسمية، المقومات العقلية، المقومات النفسية؛ وبناء عليه يتحتم على كل أم العناية بها وتحقيقها بطريقة متكاملة متناغمة، لتكوين شخصية علمية لدى أبنائها.
3- أبرز وأنجح الأساليب التربوية في التكوين العلمي للأبناء أسلوب القدوة، ويستند هذا الأسلوب التربوي إلى الأصول الإسلامية الثابتة، وكذلك أعلام تاريخ الفكر التربوي الإسلامي.

التوصيات والمقترحات.

1- توصي الباحثة القائمين على التعليم بإدخال مقرر علماء الفكر التربوي الإسلامي؛ لإبراز القدوات التاريخية واستلهام الحاضر من الماضي.
2- الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة وتسخيرها في إثراء وبناء الأبناء معرفياً وعلمياً.
3- دراسة دور الأم القدوة في ضوء التربية الإسلامية من وجهة نظر طالبات الجامعات- دراسة ميدانية- .

المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم والسنة النبوية**
- الترمذي، محمد (1996م) سنن الترمذي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- مسلم، النيسابوري (1374ه) صحيح مسلم، ج4، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.

المراجع.

- ابن جماعة، بدر الدين(1933م) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عبد البر، يوسف (1387ه) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج3، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي (1415ه) تاريخ دمشق، ج51، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو زهرة، محمد (1947م) مالك حياته وعصره وآراءه الفقهية، دار الفكر العربي.
- أبو نعيم، أحمد (1394ه) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج6، مطبعة السعادة، مصر.
- أحمد عبد الحق، ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك ومفتي المدينة، 1443ه، https://www.alukah.net/culture/0/150909، 13/ 4/ 1444ه

- الأصبهاني، أبو نعيم (1394ه) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج6، مطبعة السعادة، مصر.
- الجابري، شريقي (2002م) التحولات الاجتماعية والاقتصادية وتأثيراتها في بعض القيم الاجتماعية بالمجتمع السعودي: دراسة تطبيقية على عينة من الاسر السعودية بمدينة جدة.
- الذهبي، شمس الدين (1405ه) سير أعلام النبلاء، ج8، مؤسسة الرسالة.
- الراعي، شمس الدين (1431ه) انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الامام مالك، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الربابعة، علي(2013م) دور الأم في تنمية البنية العقلية لدى أبنائها من منظور التربية الإسلامية، مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة القصيم.
- الرشدان، لبنى(1994م) دور الأم المسلمة في اعداد العلماء، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.
- رشيد، محمود (2004م) منهج الإمام مالك في طلب الحديث النبوي الشريف والعلوم الشرعية، مج 48، ع 5، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.
- السامرائي، حذيفة (2013م) منهج الإمام مالك في التعليم والتربية، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية زليتن، مركز معهد البحوث والدراسات العلمية. (مؤتمر)
- السراج، صابر (2016م) الإمام مالك محدثاً، مجلة التنوير، جامعة الزيتونة، ع 14، المعهد الأعلى لأصول الدين. (مقال)
- السيوطي، عبد الرحمن (1389ه) تنوير الحوالك شرح موطأ بن مالك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- عبيدات، ذوقان وآخرون (1407ه) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان.
- عياض، القاضي (1965م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، مطبعة فضالة، المغرب.
- القابسي، علي(1986م) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، الشركة التونسية للتحقيق.
- القرشي، بريكان(1405ه) القدوة ودورها في تربية النشء، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية.
- الكحلوت، جيهان (1428ه) المقومات الشخصية والمهنية للمعلم في ضوء آراء بعض المربين المسلمين ومدى تمثلها لدى معلمي المرحلة الثانوية بمحافظة غزة من وجهة نظر طلبتهم، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
- المفرج، بدرية والمطيري، عفاف وحمادة، محمد (2006م) الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم وتنميته مهنياً، وزارة التربية، قطاع البحوث التربوية والمناهج، وحدة بحوث التجديد التربوي، الكويت.
- مكي، يوسف (1425ه) "الواقع الاجتماعي للمرأة السعودية: هموم ومشاكل في انتظار الحل" (ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء الثالث للحوار الوطني المنعقد بالمدينة المنورة في الفترة من 24- 26 /4)
- النويري، شهاب الدين(1423ه) كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، ج4، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.